

روح المعاني

على أى حال يشاء أى على مشيئته أى مريدا وقيل : إن جملة ينفق فى الموضوع الحال من الضمير المجرور فى يداه واعترض بأن فيه الفصل بالخبر وبأنه مضاف إليه والحال لا يجده منه ورد بأن الفصل بين الحال وذيها ليس بممتنع كما فى قوله تعالى حكاية : هذا بعلى شيئا إذ قيل : إن شيئا حال من اسم الإشارة والعامل فيه التنبيه وأن الممنوع مجده الحال من المضاف اليه إذا لم يكن جزءا أو كجزء أو عاملا وههنا المضاف جزء من المضاف اليه أو كجزء فليس بممتنع وجوز أن تكون فى موضع الحال من اليمين أو من ضميرهما ورد بأنه لاضمير لهما فيها وأجيب بأنه لا مانع من تقدير ضمير لهما أى ينفق بهما ومن هنا قيل : بجواز كونها خبرا ثانيا للمبتدأ نعم التقدير خلاف الأصل والظاهر وهو إنما يقتضى المرجوعية لا الامتناع وترك سبحانه ذكر ما ينفقه لقصد التعميم وليزيدن كثيرا منهم وهم علماءهم ورساؤهم أو المقيمون على الكفر منهم مطلقا ما أنزل اليك من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به من ربك متعلق بأنزل كما أن اليك كذلك واخبره عنه مع أن حق المبتدأ أن يقدم على المنتهى لاقتضاء المقام كما قال شيخ الاسلام الاهتمام ببيان المنتهى لأن مدار الزيادة هو النزول اليه صلى الله عليه وسلم وفى التعبير بعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره E ما لا يخفى من التشريف والموصول فاعل ليزيدن والاسناد مجازى و كثيرا مفعوله الأول و منهم صفته وقوله تعالى : طغيانا وكفرا مفعوله الثانى أى ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين لأن الزيادة تقتضى وجود المزيد عليه قبلها وهذه الزيادة إما من حيث الشدة والغلو وإما من حيث الكم والكثرة إذ كلما نزلت آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار وهذا كما أن الطعام للاصحاء يزيد المرضى مرضا ويحتمل أن يراد بما أنزل النعم التى منحها الله تعالى نبيه E أى أنهم كفروا وتمادوا على الكفر وقالوا ما قالوا حيث ضيق الله تعالى عليهم وكف عنهم ما بسط لهم فمتى رأو مع ذلك بسط نعمائه وتواتر آلائه على نبيه صلى الله عليه وسلم الذى هو أعدى أعدائهم ازدادوا غيظا وحنقا على ربهم سبحانه فضموا إلى طغيانهم الأول طغيانا وإلى كفرهم كفرا وحينئذ تلائم الآية ما قبلها أشد ملائمة إلا أن ذلك لا يخلو عن بعد ولم أر من ذكره .

والقينا بينهم أى اليهود .

وقال فى البحر : الضمير لليهود والنصارى لأنه قد جرى ذكرهم فى قوله سبحانه : لاتخذوا اليهود والنصارى ولشمول قوله D : يأهل الكتاب للفريقين وروى ذلك عن الحسن ومجاهد .

العدواة والبغضاء فلا تكاد تتوافق قلوبهم ولاتتحد كلمتهم فمن اليهود جبرية ومنهم

قدرية ومنهم مرجئة ومنهم مشبهة و العدوارة والبغضاء بين فرقة وفرقة قائمتان على ساق وكذا من النصرى الملكانية والبعقوبية والنسبورية وحالهم حالهم فى ذلك وحال اليهود مع النصرى أظهر من أن تخفى ورجع عود الضمير إلى اليهود بأن الكلام فىهم وفائدة هذا الإخبار هنا إزاحة ماعسى أن يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على أمر يؤدى إلى الاضرار بالمسلمين وقال أبو حيان بعد أن أرجع الضمير للطائفتين : ان المعنى لا يزال اليهود والنصرى متباغضين متعادين قلما توافق احدى الطائفتين الاخرى ولا تجتمعان على قتالك وحريك وفى ذلك إخبار بالغيب فانه لم يجتمع لحرب المسلمين جيش يهود ونصرى منذ سل سيف الاسلام